

إثباتات الإبادة من قبل حكم المحكمة

الكاتب



عاطف الغمري

عاطف الغمري

في ترافق تلقائي، لكنه موضوعي، مع القضية التي رفعتها جنوب إفريقيا أمام محكمة العدل الدولية متهمة إسرائيل بارتكاب جريمة الإبادة، ومن قبل صدور قرار المحكمة، قد كرس عشرات العلماء والخبراء المتخصصين في دراسات الإبادة جهودهم من أول يوم لنظر القضية، للبحث العلمي والموضوعي عما إذا كان ما تفعله إسرائيل في غزة ينطبق عليه وصف الإبادة. ومع تنوع وتباعد مواقعهم العلمية، فإنهم جميعاً، ومن دون استثناء، دانوا إسرائيل بارتكاب جريمة الإبادة.

ثم حان موعد صدور حكم المحكمة بتوجيه أمر لإسرائيل باتخاذ جميع الإجراءات لمنع، ولمعاينة التحريض المباشر على الإبادة الجماعية في حربها في قطاع غزة، وأن تمتنع عن أي أعمال تندرج ضمن اتفاقية الإبادة الجماعية.

وفي ضوء ذلك كله، كان من المهم إلقاء نظرة متأنية على التطابق بين قرار المحكمة، وبين ما استقر عليه ضمير جميع الخبراء المشار إليهم، وحيث إن شهاداتهم تظل صفحة بيضاء في سجلات هذه القضية، وإن كان ما يتبقى من جانب المحكمة مطالبتها بالوقف الفوري لإطلاق النار في غزة، وإن كانت طبيعة المحكمة لا تمكنها من إصدار حكم قطعي الآن، ولأن مثل هذه القضية قد يستغرق نظرها سنوات. البروفيسورة فيكتوريا سانفورد، بجامعة نيويورك أجرت مقارنة بين ما يجري في غزة من قتل عشرات الألوف، وبين اختفاء أكثر من 200 ألف من أبناء المايان، في غواتيمالا من 1960-1996. واعتبرت ذلك إبادة للغواتيماليين، وجعلت منها موضوع كتابها: «حقيقة الأسرار المدفونة»، ثم قالت إن المايان والفلسطينيين، تعرضوا لأعمال الإبادة، وهو ما يشهد عليه، ما نراه الآن بأعيننا، من صور معاصرة ومماثلة للاعتداء الإسرائيلي على لأراضي الفلسطينية.

ويقول البروفيسور راز سيغال أستاذ دراسات الإبادة بجامعة ستكتون، إنهم في إسرائيل لا يشعرون بأي خجل من إعلان Flatten Gaza ما يفعلونه صراحة، بحيث انتشر بينهم استخدام مفردات لها معنى الإبادة، حتى لو بمنطوق آخر مثل Zero أي محوها من الوجود. كما علق في شوارع تل أبيب عليها كلمة Erase Gaza وتعني تسوية غزة بالأرض، أو وتعني صفر لوجود أهل غزة. بل إن وزير دفاعهم غالانت، لم ينكر نيتهم حين قال إن هدف إسرائيل هو تدمير Gazans الفلسطينيين.

وكانت البروفيسورة فيكتوريا سانفورد، بجامعة نيويورك، والبروفيسور راز سيغال، ضمن أكثر من 100 خبير، وأعضاء في منظمات دولية، قد وقعوا خطاباً يطالبون فيه باتخاذ إجراءات صارمة ضد ممارسة إسرائيل جريمة الإبادة. وأيدوا إقامة دعاوى قانونية ضدها.

وفي مركز دراسات الإبادة بجامعة ييل، في نيويورك، قال ديفيد سيمون إن إسرائيل أعلنت، صراحة، أنها تؤيد فناء حماس. كما أن بن كيني رنان، مدير برنامج علم الإبادة بجامعة ييل، وافق على اتهام إسرائيل، صراحة، بممارسة إبادة البشر. وأرسل خطاباً إلى مجلة «تايم» الأمريكية - التي نشرته - قال فيه إن الغارات الانتقامية الإسرائيلية على غزة، والمستمرة حتى الآن بالرغم من كثرة ضحاياها، ينطبق عليها تماماً وصف الإبادة.

كذلك نشر ما يعرف بالموقع الإعلامي الفرنسي تحت عنوان «الإبادة في فلسطين: غزة موضوع للدراسة». ووصف ما «فعلته إسرائيل في غزة بـ«الإبادة».

واستناداً إلى ما تضمنه ميثاق الأمم المتحدة، فإن الكسندر هيندون رئيس مكتب منع الإبادة «باليونيسكو»، والأستاذ بجامعة نيوجيرسين قال إن جريمة الإبادة وفق ما نص عليه الميثاق، صنفت على أنها أي تنفيذ لإجراءات تهدف إلى التدمير لشعب، كلياً أو جزئياً، على يد جماعة عنصرية، أو دينية، أو قومية، وإن تلك التصرفات تشمل قتل أعضاء من هذا الشعب، والتسبب بإلحاق أضرار، جسمانية أو نفسية بهم، أو تودي بحياة أعضاء من هذا الشعب، أو تسبب أضراراً لأطفالهم، ومواليدهم.

وإذا كان ميثاق الأمم المتحدة يحدد خمسة تصرفات ينطبق عليها وصف الإبادة، فإنها جميعاً قد فعلتها إسرائيل، في إطار تحذير الأمم المتحدة من النتائج الخطرة للحصار الإسرائيلي الذي يهدف إلى جعل غزة أرضاً غير مأهولة بالسكان.